من أوراق الرئيس: (48)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

صورتان : واحدة للأمير.. وواحدة للوزير !

يقول الرئيس السادات في صفحات من أوراقة : من لا يعرف ماضيه يظل طفلا ، مهما تقدمت به السن .. لأن شهادة ميلادك هي عمرك الجسدي.. ولكن عمرك الروحي هو أن تضيف إلي ذلك تاريخ مصر وتاريخ العلم كله.. والذي ليس له ماض ، لن يكون له مستقبل.

ويقول: لقد عرفت الجوع والفقر واستشعرت الظلم والهوان.. وعرفت مرارة أن يخرج الإنسان كل يوم من بيته إلي غير مكان ، لأنه بلا عمل ولا أمل... وعرفت معني أن يهون أمري علي الناس ، فيروني وكأنهم لا يرون أحدا أو شيئا.. لم يكن ذلك سهلا. ولكنه ممكن. وقد أمكن. وسوف يتحقق ذلك للملايين من أبنائنا من شباب مصر.

ويقول؛ إن إرادة الله فوق كل شئ ووراء.. إن إرادة الله هي التي تدفعنا بالإيمان والصدق والشجاعة إلي أن يكون الإنسان شيئا مذكورا.. وإن ما حدث لي ، قد حدث لآخرين ، وسوف يحدث لملايين. ولكن أردت بما أكتبه عن تجاربي في الحياة مع الناس وفي مواجهتهم ، أن أخفف عن الناس كل ما عانيته ، فلا يتعذبون بالظلم الذي عذبني ، ولا بالقهر الذي أشقاني ولم يقهرني ، وأهم من ذلك أن الإنسان قد خلقه الله ليبقي كريما رفيعا. فالله سبحانه وتعالي يقول : "ولقد كرمنا بني أدم" . صدق الله العظيم..

ويقول الرئيس السادات في أوراقة أيضا:

"هناك من يقول : إن التاريخ هو نهر الصدق الخالد – هذه العبارة صحيحة أيضا !

"وإنما التاريخ مصنوع من الصدق الذي يعيش طويلا ، ومن الكذب الذي يعيش قليلا..

"..ومن الشجاعة والصدق والإيمان قد نسجت حياتي .. " وحتى لا أدعي لنفسي ما ليس لي فإنني أقول : إن يد الله هي التي نسجت حياتي.. وسوف تنسج حياة الآخرين أيضا..

"ولذلك فإنني أتوجه بنسيج حياتي إلي أبنائي ، حتى لا يضلوا ، وحتى أهون عليهم ويلات الطريق الطويل. لأن الطريق الصاعد شاق ، والطريق الهابط سهل..

ويقول الرئيس السادات في أوراقة التي سوف نوالي نشرها ، مع عظيم الامتنان له : إن هناك لحظات في التاريخ لا نراها إلا علي ضوء النجوم..

"وهناك لحظات باهرة نراها علي ضوء الشمس..

"وهناك لحظات نراها علي لمعان قطرات الدموع والعرق.. "ولكن لا يصح إلا الصحيح.
والصحيح : أن يكون الإنسان صادقا مع نفسه ومع ربه. والصادقون لا يضلون. والصادقون ينصرهم الله ، من أجلهم هم ، ومن أجل أهاليهم وأوطانهم..
"وكل ما أنصح به أبنائي من الشبان أن يتزودوا في طريقهم الطويل: بالإيمان بالله والصدق والشجاعة والتضحية. وهي كلمات قليلة ولكنها غنية بمعانيها. وعسيرة في تحقيقها ولكنها امتحان لرجولة الرجال..
"إنني أتوجه بهذه الكلمات و"أوراقي" كلها ، ما نشر منها وما لم ينشر ، إلي شباب مصر والأمة العربية: أملنا وكنزنا ومستقبلنا وقرة أعيننا في الحياة".
وقد أكد الرئيس السادات هذه المعاني بصور مختلفة في مستهل هذه "الأوراق" وهو يؤرخ للعلاقات المصرية السوفيتية ، وهي أخطر وأشجع ما كتبه زعيم سياسي في العصر الحديث.. ولكنه منذ اللحظة الأولي، قد آلي علي نفسه أن يقول الحق ولا شئ إلا الحق وكل الحق ، والله والشعب علي ما يقول شهيد.
وقرأ المؤرخون في العالم كله في أوراق الرئيس السادات ما لم يكن يعرفه أحد..
وثارت حكومات علي الذي نشرة الرئيس السادات ، مبتغيا وجه الله والحقيقة والمثل الصادق للشباب من أبناء مصر ، ولم يستطع أحد أن يكذب كلمة واحدة مما قال. وكان الرئيس السادات يعرف هذه الحقيقة منذ البداية.. وإن كان الرئيس السادات قد أمسك عن الكثير من الحقائق ، والوقائع ، حرصا علي المصلحة القومية وأمانة التاريخ..
وعندما انتقلت"أوراق" الرئيس السادات إلي المسألة الليبية ، فقد مضي في نفس الطريق الذي ارتضاه لنفسه ولشعبه: أن يقول الصدق فقال ، وفي غاية الصراحة.. ولم يصد أحدا. ولم يقفل باب الأمل في أي حل، من أجل أن تعود العلاقات الأبدية الطيبة بين ليبيا ومصر. وأوشكت "أوراق" الرئيس السادات أن تنتهي ، إلا قليلا.. لولا أن "جديدا ايجابيا" قد طرأ. والأمل كله أن نصل معا إلي بر السلامة والأمان. وان هذا الجديد ما يزال بيم أخذ ورد.. ونتمنى التوفيق لأنفسنا ولغيرنا من أجل العائلة العربية ، ومن اجل السلام للجميع. وليس الوقت مناسبا لذكر شئ قبل أن يتحقق وكما هي عادة الرئيس السادات ، فإنه سوف يروي كل شئ بوزنه وحجمه وصورته وبكل الصدق.
وفي هذا الوقت الذي تكتمل فيه كل ملامح صورة مصر "المحترمة" بكل معاني هذه الكلمة سياسيا واجتماعيا وديمقراطيا ، نري وجوها قديمة وأصواتا قديمة وحسابات قديمة ، ترتفع وتطل وتصرخ باسم الحرية التي ننعم بها جميعا.. ولكن الصورة القديمة بشعة.. والأصوات منكرة ، والأحلام هلوسة..

إن سياسيا قديما قد استغل ضعف ذاكرة المواطنين ، وراح يروي أمجاده القديمة ، مستغلا أن نصف سكان مصر قد ولدوا بعد ثورة يوليو 1952، فهم صغار أو شبان صغار ، لا يعرفون تماما كل ما حدث وكل ما فضح مصر ومزقها وأحرقها وجعل الأغلبية من أبنائها مواطنين من الدرجة الثانية ، بينما بعض الأتراك والباشوات أصحاب العزة والسعادة والمعالي والرفعة ، هم المواطنين من الدرجة الأولي..

وما اجل ذلك قامت الثورة. ضد العرش الفاسد ، والباشوات والاقطاعين والساجدين الراكعين أمام السكرتير الشرقي بالسفارة البريطانية – وليس أمام السفير البريطاني ، فذلك حلم بعيد ! وفجأة نشرت الصحف العالمية – وكأن ذلك بتدبير من القدر وترتيبه – صورة للأمير فؤاد – الملك فؤاد الثاني ملك مصر سابقا – ومعه عروسه التي أسلمت وأسماها فضيلة. وهو ابن صالح لأب فاسد عاش غريبا في ايطاليا يرفع علم مصر علي بيته ، ويموت في أحد الكباريهات ، وعندما فتشوا جيوبه وجدوا جواز سفر من إمارة موناكو لشخص اسمه: فاروق ملك مصر – وهو ابن حلال حقا. فقد توفي جده الخديوي إسماعيل وهو يضع زجاجتين من الشمبانيا في فمه في وقت واحد ! وكان الرئيس السادات قد سلم في التاسعة من صباح 26 يوليو 1952 وثيقة التنازل لعلي ماهر ليقدمها للملك وليرحل عن مصر بعد 9 ساعات ، فأصبح الأمير فؤاد منذ ذلك الوقت ملكا علي مصر وحوله مجلس وصاية من الأمير محمد عبد المنعم وبهي الدين بركات والضابط رشاد مهنا إلي أن أعلنت الجمهورية في مارس 1953 هذه الصورة للأمير الذي أهداه أبوه للقوات المسلحة يوم حريق القاهرة. القوة الحقيقة في ذلك الوقت .. وتلك الصورة للوزير الذي نزل بتنازلات حزب الأغلبية إلي أدنى حد.. هاتان الصورتان نضعها معا ونتلمس طريقنا في "أوراق" الرئيس السادات لنرى كيف كانت مصر قبل الثورة. وكيف رآها الشاب السياسي أنور السادات والزعيم السياسي الكبير بعد ذلك.

وكيف أن الرءوس التي أطلت ، بلا مبرر ، قد انكفأت قبل ذلك وانكسرت تقبل اليد الطاهرة وتتلمس البركات من جلالة الملك الشاب. وكيف كانت تري أن الكفاح الحقيقي هو أن ينتقل الإنسان من صاحب العزوة إلى صاحب السعادة.. فإذا بلغ درجة صاحب المقام الرفيع فهذه هي قمة القمم ولا يهم في تلك اللحظة أين تقع مصر ، ولا الأقدام التي تدرس أرضها وعرضها ، وتسد عليها أبواب الأمل في حياة أفضل...